التي لا ينفكّ نسيم رطيب لطيف يلاعب اغصان اشجارها فيسمع الجالس تحت ظليلها صوتًا رخيمًا ينعش فؤاد العليل الباكي. ثم ظهور مرحاتا (الشوير) وهي على مرتفع يقارب علوّهُ ١٢٠٠ متر فوق سطح البحر يشرف على قرى الشوف والمتن وكسروان ويطلّ على البحر فيماين منهُ الناظر مشهدًا جميلًا بديعًا. وهذه الجهة لم يقصدها المصطافون الّا في السنين الاخيرة ولم يكن هناك بناء للاقامة ولا فنادق لنزول القاصدين فكان المصطافون يضربون اوتاد خيامهم تحت اشجار الصنوبر وبين دوالي العنب المنتشرة. والبعض كانوا يسرّون بنصب الخيام من اغصان الاشجار. وقد دعا ازدياد الاقبال في العام الاخير على تلك الجهة الى تنشيط الاكثرين من اصحاب الاملاك الى بناء الفنادق وإعداد المطاعم الى غير ذلك من وسائط التسهيل والراحة. وربّما اعود بمقال آخر الى وصف محاسن الاقامة بهذه الجهة معما يجاورها من القرى فقد قصدتها في الصيف الماضي مع من رغّبني بحسن هوائها وجودة مائها فألفنا هنالك على اتمّ هناء واوفر سرور وعدت ولسان حالي يقول:

شوقي الى تلك الربوع واهلها شوق المريد الى بلوغ مراده

الحب الصادق

لحضرة مكاتبنا الفاضل الاب انستاس الكرمليّ

حدّثنا الاب مُرّيسن من المرسلين الاسكوسيين الانكليز الراجع الى بطركية اللاتين الاورشليميّة قال: كنتُ في سنة ١٦٠٠ في بلاد الصين بمنزلة كاهن خادم للحملة الصينيّة في ايّام خروج البكر وكنت نزلت قرية اسمها تنكو (Tongou) بين مدينة شَنْغِيقَنْكْ (Changhiquing) وزاكو (Zaku) فلمّا جُنّ الليل اذا بطارق يقرع باب غرفتي فقلتُ لهُ:

من انت؟

قال: اني رجل مسيحي اتيتك لالتمس منك ان تطوّقني منّة فتكون بمنزلة القلادة حول عنقي على مدى الدهر

قال الاب مُرّيسن: وما هي؟

قال الطارق: ان تأتي الكنيسة وتسمع خطايا المذنبين التائبين وتحلّهم من رُبُط آثامهم باسم الرب يسوع

فقال الاب: وما الذي ساقك اليَّ في هذا الليل الأليل؟ ولِمَ لم تأتِ قبل هذه الساعة وما الذي يمنعك عن الانتظار الى أن ينشقّ إهاب الظلام عن جبين الفجر؟

قال: لامرٍ ما اتيتك وورائي جمٌ غفير ولا نيَّة لهُ سوى نيَّتي فهلمَّ بنا الى البيعة

قال الاب: وقبل ان اغادر حجرتي اريد ان اقف على السبب الذي يدفعك الى مثل هذا الامر في مثل هذه الساعة الغير مألوفة

قال الرجل الغريب: قد طرقتنا فئة من البُكسر الوثنيين وقد وصلت الى القرية القريبة منّا وهي الآن تتهدَّد قريتنا وليس لها غاية الّا الاشتفاء بموتنا ولم يبقَ لنا عون الّا من الرب القدير فتعال اسمع اقرارنا بمكنونات صدورنا قبل ان يبطش بنا هؤلاء الاشرار

قلنا أطلع الاب المرسل على كُنه الخبر خرج للحال وذهب الى البيعة وهناك سمع ذنوب التائبين آناء الليل كلهِ حتى اوشك الصباح ان يبلّج جبينهُ الاغرّ واذا بعصابة المشركين قد وصلت القرية فقالت لاهلها بعد أن خدَّت في الارض اخدودًا عميقًا: تخيَّروا امّا أن تُقدّموا الدُخنة (١ للصنم فتوثَّنوا وتكفروا بدينكم واما ان تُلقَوا احياء في هذا الاخدود لتُضرموا فيهِ معذَّبين. فما كان من اهل القرية المسيحيين الّا وتهافتوا كالفراش على الاخدود فزجُّوا انفسهم فيهِ بدون ان يدفعهم دافع من عصابة البكسر

الّا ان هؤلاء الاشقياء كانوا قد قبضوا على بعض المسيحيين ليحملوهم قسرًا على ان يقدّموا البخور والدُخنة للصنم. ومن الجملة كانوا قد قبضوا على يد صبي مسيحي ليجبروه على التوثّن. امّا أمهُ فكانت قد سبقتهُ الى الخندق المذكور ظنًّا منها انهُ يلحقها. فلمّا صارت فيهِ اخذت تبحث عن فلذة كبدها فلم تجدهُ. وفي تلك الاثناء سمعت صوتًا يرتفع من وسط جماعة البُكسر يقول: يا إماه! يا اماه! فتنصّت الأم كما تنصّت رفقاؤها

---

١) وهي شيء كانهُ العودة مركّب من اخلاط الطيوب والصموغ تحرق امام الصنم ويسمونها بلسانهم الحديث باسم مركّب من الصينيَّة والانكليزية وهي (yaosh-stick) ومعناها عودة الاله

كلهم وبعد ان تكرَّر الصوت ثلاث مرّاتٍ عرفت الام صوت ابنها الفقيد . فاومأت الى البكر الواقفين على حافة الاخدود ليمنعوا المسيحيين من الخروج او ليحملوهم على نبذ دينهم بوعدهم ووعيدهم ان يخرجوها من الجبّ . فلمّا رآها اصحابها النصارى الذين كانوا معها ظنُّوا ان الشيطان قد وسوس اليها فرانَ حبُّ البقاء في الدنيا على قلبها فهي تريد الآن تنكر المسيح فوقع القلق والاضطراب بين الكاثوليك اهل الخندق. اما البكر فلمّا رأوا اشارة المرأة لبّوا طلبها ومدُّوا اليها رمحاً لكي تتمسَّك به فيجذبوها الى خارج . واما رفقتها فاخذوا يتمسكون بثيابها ويتعلَّقون برجليها لكي يصدُّوها عن الخروج وما زال النزاع بين الفريقين على هذه الصورة من جذب الى الخارج ومن جذب الى الداخل حتى كادت المرأة تتقدُّ الى شطرين

وفي آخر الامر رأى البكر انهم لم يقووا على اهل الاخدود فما كان منهم الّا ان ضربوا ضرباً عنيفاً بالعصي والاسلحة القابضين على رجلي المرأة والمتمسكين باهدابها حتى افلتت من أيديهم وهم بين باكٍ وآسفٍ وشاكٍ ومتلهف على حظّ هذه المرأة الهاوي نجمُ سعدها على ما في ظنّهم

اما الامُّ الوَلهى فهرولت من ساعتها الى ابنها الحبيب ولطمت الوثنيَّ القابض على يد الطفل ليجبرهُ على ان يوقد الدُخنة للصنم وهو يتخبَّط يأساً وقنوطاً ويولول ولولةً تفطر الجلمود . وضربت بالوقود وجه الصنم وحملت ابنها على ذراعيها وطارت به الى الاخدود وألقت نفسها فيه مع ابنها . فلمّا رآها اهل الحفرة تعجَّبوا من حُبّها الأمي وكيف انها لم تُرد ان تحرم ابنها من فرصة الشهادة ومن اكليل المجد ففعلت ما فعلت لتلدهُ للسماء كما ولدتهُ للعالم ولذلك فرحوا معها فرحاً عظيماً . فتمَّ ظفرهم ونالوا الفوز المبين. بتضحية حياتهم في سبيل الدين. هكذا هكذا ليكن حُبّ الامهات للبنين. او الوالدين للمولودين . اللهم آمين